" أتون النار المتَّقدة "

برجاء قراءة الأصحاح الثالث .

تأمَّل مليًّا ما جاء في العدد الثاني: "ثم أرسل "نبوخذ نصر" الملك ليجمع المرازبة والشِّحن والولاة والقضاة والخزنة والفقهاء والمُفتين وكل حكام الولايات، ليأتوا لتدشين التمثال". ثم انتقِل إلى العدد الخامس: "عندما تسمعون صوت القرن والناي والعود والرباب والسِّنطير والمزمار وكل أنواع العزف، أن تخرّوا وتسجدوا لتمثال الذهب".

ألا تتضاعف سخريتك وأنت تتأمل العددين؛ على بذخ ومراسم عبادة الأوثان؟

لقد عرفنا من الأصحاحين السابقين كيف أن قلة قليلة، في تلك البيئة المُعادية، بقيت مُخْلِصة لله في أمة يهوذا – التي كانت تُعاقَب حينذاك على وثنيَّتها – بقيت قِلَّة من الناس، بعدد أصابع اليد، قلبها مخلص لله. لقد أغروها بأن تخطيء، لكنها رفضت. رغم أنها كانت على وشك الفناء، إلا أن الله حفظها بطريقة معجزية.

سوف يرى المؤمن في الأصحاح الثالث، قوة الله العجيبة في نجاة المخلِصين له؛ فهم موضوع رعاية الله. في هذا الأصحاح تشجيع رائع، ودروس عملية هامة، تفيد كل مؤمن يجد نفسه بعيدا عن معايير وقِيَم العالم الذي حوله.

مما يسترعي انتباهنا الآن، أن دانيآل لم يكن مع الفتيان الثلاثة، ولا نعرف لماذا، وإن كان هناك الكثير من الافتراضات. لا أحد يعرف أين كان في ذلك الوقت؟ وماذا كان يفعل؟ والآن، تسلَّطت الأضواء على "شدرخ" و"ميشخ" و"عبد نغو"، وقد ذُكروا عدة مرات في هذا السفر، مع أن "دانيآل" كان بارزا، لكن الآن عليهم أن يقوموا بدورهم الخاص بهم.

إن الأصحاح الثالث سجَّل كيف تحدَّى الفتيان الثلاثة أمر أقوى رجل في العالم؛ حتى لا يغضبوا الله. فإرضاء الله كان أغلى عندهم من حياتهم.وبذلك أعطوا مثالا لجوهر التقوى الحقيقية؛ لذا تدخَّل الله ونجَّاهم، وحفظ إيمانهم.

كما تجدر بنا أيضا ملاحظة هامة تسترعي انتباهنا، ألا وهي: "إن الأمر الأساسي في هذا الأصحاح، ليس النجاة المعجزية"؛ فكلّنا نؤمن بمعجزات الرب، كما نثق في قدرة الله، ونؤمن أنه أقام ابنه من الأموات. إن الخلاص العجيب الذي سُجِّل في هذا الأصحاح، يملأ قلوبنا بالتبجيل لله. لكن ذلك ليس أهم ما يجب أن نلاحظه، إنما ما يلفت انتباهنا أن ثلاثة فتيان جُرِّبوا أن يفعلوا شرا ورفضوا. إنهم مستعدُّون أن يقطعوا علاقتهم مع كل الناس ومستعدُّون لتحمّل نتيجة رفضهم، حتى ولو أدَّى هذا إلى الموت بطريقة شنيعة. لا يعرفون الحل الوسط. الخطأ هو الخطأ. لن يفعلوا ما يغضب الله مهما كانت العاقبة. لن يتحمَّلوا الخطية أو الاقتراب منها. ونحن علينا أن ننتبه إلى هذه النقطة؛ فهي تعلّمنا مجدَّدًا كيف حُفِظَت الشهادة لله، حيَّة في عالم وثني.

إن أردنا أن نكون مُخلِصين صادقين لله، في أوساط معادية، يجب علينا أن نسلك في طريق "شدرخ" و"ميشخ" و"عبد نغو".

في هذا الأصحاح حل للغزٍ قديم: "ماذا يحدث عندما تصطدم قوة جبارة بجسم ثابت؟"

أمامنا الآن ثلاثة أجسام ثابتة، يتعرَّضون إلى قوة جبارة، وسنرى ماذا حدث عندما اصطدمت هذه بتلك.
القوة الجبَّارة :
"نبوخذ نصر" الملك، هو القوة الجبَّارة التي لا تقاوَم ، وهذا يتضح في الأعداد 1 – 7.

لماذا ندعوه كذلك؟

تأتي البداية عندما انتفخ كبرياء الملك، وعزم على صنع تمثال عظيم (نحن لا نعرف بالضبط متى عُمِل ذلك التمثال، ربما بعدما وصف "دانيآل" الملك بأنه رأس الذهب)، ودعا جميع الشعوب والأمم واللغات، من سائر أقطار الإمبراطورية، أن يخرّوا ويسجدوا للتمثال.

لقد كان شائعا بين ملوك البابليين والسوريين، أن ينصبوا التماثيل استعراضا لقدرتهم وعظمتهم، وفي الوقت ذاته تخليدا وإجلالا لهم. وأغلب الظن أن التمثال الذي صنعه "نبوخذ نصر" كان على صورته، فلم يكن يفكر في إجلال نفسه فقط، بل في إجلال آلهته أيضا. وهكذا صُنِع التمثال بتكاليف جاوزت الحد. كان مُغشَّى بالذهب، وكان طوله أكثر من تسعين قدم، وعرضه تسعة أقدام فقط، ونصبه في سهل "دورا" في ولاية "بابل".

إن الكلمة الآرامية التي تُرجمت هنا بـ "سهل"، تعني امتدادا مسطحا من اليابسة بين الجبال. نصب التمثال وسط هذا السهل المستوي، وحوله مساحة شاسعة من الأرض المنبسطة، وعلى جانبيها جبال عالية؛ لذا من المحتمل أن التمثال كان يُرَى على بعد عدة أميال، خاصة عندما تسقط أشعة الشمس على سطحه المُغشَّى بالذهب، منذ لحظة شروقها حتى غروبها. وتمشِّيًا مع التقليد البابلي، رتَّب الملك احتفالا عظيما لتدشين التمثال. كان احتفالا لم ير أحد في العالم مثله (عدد2 ، 3)، وكان الحشد هائلا. لقد أتى كبار رجال الدولة (ويشرح لنا السفر رُتَبهم المختلفة) من كل أرجاء الإمبراطورية البابلية. إن الموكب كان بكامله أروع من أفخم تتويج للملوك.

في عدد 4 نجد تصريحا هاما؛ ففي مقدمة ذلك الحشد الهائل صرخ مناد، بصوت عال، مُعلناً المرسوم الملكي الذي لا يُعفَى أحدٌ منه. فقد كان الجمع من كل الأمم والألسنة المختلفة، من كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية. وهنا تجدر بنا الإشارة للمكانة الخاصة للعازفين على آلات الموسيقى، شأنهم شأن ما هو حاصل في تلك المراسم.

والآلات التي ذكرت في الأعداد 5و7و10و15 ضمَّت آلات فارسية، وهذا ليس غريبا؛ فبلاد "فارس" كانت من الجيران القريبة. أما (البوق) و(المزمار) فهُما من الآلات السامية، وهذه تشير إلى أن بعض الموسيقيين كانوا من اليهود المسبيين. ونرى أيضا (العود) و(الرباب) و(السنطير)، وكلُها آلات يونانية؛ وذلك لأن "بابل" في ذلك الوقت كانت لها تجارة مع "اليونان" على مدى قرن من الزمان.

وكان أمر المنادي يقول بأنه عندما تعزف الموسيقى، يجب على كل إنسان – كائنا من كان وأينما كان – أن يخرَّ ساجدا لذلك التمثال المنصوب.

العدد السادس يبدو محيِّرا، لكن هناك شيء علينا أن نتذكره: فهذا التمثال قد نُصب لإجلال الملك ولآلهته، وعدم السجود يعني عدم الخضوع لكلمة الملك، وفي ذلك خيانة له، عقابها الموت المرعب في أتون نار متَّقدة.

إن السجود لهذا التمثال، لا يمثل مشكلة للأغلبية العريضة الوثنية من الناس في الإمبراطورية البابلية؛ فهم يسجدون للأقوَى، ولكونهم انهزموا أمام "بابل"، فآلهة "بابل" أقوى من آلهتهم؛ فلِمَ لا يعترفون بها ويسجدون لها.

حتى اليهود المسبيِّين ليست لديهم مشكلة في ذلك؛ فقد عصوا الرب، وانغمسوا في الوثنية لعدة أجيال. أهملوا كلمات الأنبياء الصارمة، وتحذيراتهم بالابتعاد عن ممارسة هذا الشر العظيم؛ فسجدوا للتمثال الذهبي، دون أن يشكِّل ذلك لديهم مجرد وخز الضمير، فأصبحت عبادة الأوثان تجري في دمائهم. استسلموا لأمر الملك استسلاما شاملا، فتجنَّبوا الحكم على أنفسهم بالموت، وابتعدوا عن أي أذى أو ضرر.

غير أن – في عداد ذلك الجمهور العظيم – بقيَّة تقيَّة لم يراعوا أمر الملك، وعلامة استمرارهم مُخْلِصين لله، أنه ليس لهم علاقة بعبادة الآلهة الزائفة.

عَبَرت أمام الفتيان الثلاثة وصيَّة الله الأولى في الناموس، واعتبروا أن لا شيء أهم من حُب الرب إلههم، من كل قلبهم ونفسهم وعقلهم وقوَّتهم. لقد سبق ورفضوا بشجاعة طعاما قُدِّم منه للأوثان، فكيف ينحنوا أمام واحد منها، وهم مازالوا على إيمانهم ثابتين؟ إيمانهم أن هناك قوة أعلى وأعظم، هي التي يجب أن تطاع. اعتزلوا عن الباقين، وأصبحوا هم فقط المختلفين، حتى وإن كان مصيرهم الموت في أتون نار متقدة، فالخطأ خطأ، ولا يمكن أن يرتكبوه.

كان شعارهم: "ليركع الجميع ودعونا نحن نبقى واقفين".

على مدى عشرين قرنا من الزمان، والأنظمة الاستبدادية تجبر المؤمنين على الخضوع لتلك الأوامر الشريرة، وإلا الموت. ويصدُق هذا على أحداث القرن العشرين؛ ففي عديد من البلاد نجد شعب الله يعاني من الاضطهاد. كثيرون يوضعون في السجون، وكثيرون تسند إليهم أحقر الوظائف في المجتمع. وكم من مسيحيين يقاسون حسرة القلب على أطفالهم، الذين أُخِذوا قهرًا، يصرخون تحت الآلام، ويموتون ميتات شنيعة، إلا إذا خضعوا لأوامر السلطات، بالتوقف عن حياة التقوى، وذلك بإعطاء الحكام المكان الذي يجب أن يُعطى لله وحده.

إن الكثيرين منا لا يُقاسوا أمورا كهذه، غير أن كلمات " صموئيل راذرفورد Samuel Rutherford "، لم يزل صداها يتردد في آذاننا: "لن تدخل بهدوء إلى السماء في صحبة المسيح، بدون صراع وصليب".
الناس من حولنا يضغطون علينا كي نشاركهم آثامهم، وكثيرا ما قالوا لنا: "لماذا لا تفعلون مثلما يفعل الآخرون؟ لماذا تختلفون عنهم؟"

كم من شباب مؤمنين يحثُّهم الأصدقاء أن يسكروا معهم، أو يمارسوا الجنس قبل الزواج!!

كم من مؤمنين تجعلهم الضغوط يكذبون، يسرقون، يقرأون كتبا هابطة، يشاهدون برامج تلفزيونية وأفلاما نجسه.

كم من آثام أصبحت تُمتَدح وكأنها فضائل، كإهمال يوم الرب، وإهدار المال، والمقامرة، واكتساب الثروة بالغش.

أليست خطية عندما يسمح المسيحي لنفسه، أن يُلقي القصائد الغنائية المنحطَّة تحت الأضواء اللامعة.

إن للعالم أتون نار خاص به، ينتظر من لا يوافق على عبادة أوثانه. ربما يجعلك مُحتَقَرا، منبوذا، مُهمَلا، يسخر منك الجميع.

لا تهتم..
فكل الذين يخافون الرب، يتَّهمهم العالم بضيق العقل، والتخلُّف عن العصر؛ الأمر الذي يتسبب في حرمانهم، من مودَّة من هم حولهم.

يبدو للعديد من حديثي الإيمان، أن هذه الضغوط لا تقاوَم، فيُجبَرون على الاختيار: فإما الاستسلام؛ ويحصلون على ما حصل عليه الآخرون، وإما أن يقاوِموا ويفقدوا كل شيء.

كان ذلك هو الاختيار الذي وُضِع أمام "شدرخ" و"ميشخ" و"عبدنغو".

ثلاثة أجسام ثابتة :
تخبرنا الأعداد 8-18 عن موقف الفتية الثلاثة، حيال هذا الاختيار المباشر، الموضوع أمامهم. لقد كان اختيار الثلاثة أن يرضوا الله، مهما كانت العواقب؛ لذا لم يراعوا أمر الملك.

وهنا نرى القوة الهائلة لقرار الملك، تقابل ثلاثة أجسام ثابتة.

دعنا نتصوَّر هذا المشهد الذي سجَّلته الأعداد 8-12: الحشد الهائل، وجَوّ الإثارة والتوقع، الموسيقى وهي تعزف؛ فتُثير مشاعر الناس، فيخرّ الجميع ساجدين للتمثال العظيم.

وهناك في وسط هؤلاء جميعا، نرى ثلاثة مازالوا واقفين. قد يحدث أحيانا، أثناء اجتماعات الكنيسة، أن نرى بعض الأشخاص واقفين، بعد أن جلس الباقون، ولاشك أن الأنظار تتجه نحوهم. لقد كان موقف "شدرخ" و"ميشخ" و"عبد نغو" أوضح من ذلك كثيرا. شعوب الإمبراطورية كلها تركع، لكن ثلاثة مازالوا واقفين. ثلاثة فقط كانت عندهم الجرأة ولم يركعوا.

في الأصحاح الأول، ربما ذاع الخبر عن هؤلاء الثلاثة أنهم لم يشتركوا في عبادة الأوثان، ولكن في هذا الأصحاح يبدو أن نهايتهم قد حلَّت. فما أسرع أن وصل الخبر، إلى الملك الطاغية، على ألسنة الجواسيس الماكرين. لاشك أنه كانت هناك أشياء طيِّبة كثيرة، يمكن أن تقال عنهم، لتُبطل مفعول تلك التهمة، لكن شيئا من هذا لم يحدث، وأُعلن رسميا أن الثلاثة لم يجعلوا اعتبارا لأمر الإمبراطور.

بدا الانفعال على وجه الملك، واحتقن بالدماء؛ فأمر بإحضار الثلاثة: "شدرخ" و"ميشخ" و"عبد نغو". ولما أتوا قدام الملك سألهم: "هل حقا؟!"

أراد "نبوخذ نصر" -إن أمكن- أن يحتفظ بهؤلاء الفتيان النبلاء، وطلب أن يعطيهم فرصة أخرى(14). إنه يطمئنهم، كما يفعل العالم حولنا. "هل حقا؟"

كأنه يقول لهم: "إن الوقت لم يفُت بعد، ويمكن تغيير موقفكم"، "فإن كنتم الآن مستعدين عندما تسمعون صوت القرن والناي والعود والرباب والسنطير والمزمار، وكل أنواع العزف، إلى أن تخرّوا وتسجدوا للتمثال الذي عملته. وإن لم تسجدوا، ففي

تلك الساعة تُلقون في وسط أتون النار المتَّقدة. ومن هو الإله الذي ينقذكم من يدي" (15).

إن العالم بداخله شيء يجعله يود أن يرى شعب الله معه، وهو حريص جدا على أن يقنع المؤمنين أن يتوافقوا معه. العالم لا يطيق أن يتحمَّل وعْيَ أولئك الذين لا يتوافقون معه، وقبل أن يهلكهم، يحاول أن يقنعهم بأن يكونوا كبقيَّة الناس.

العالم متحيِّر من أولئك الذين لا يسجدون لما يسجد هو له.
العالم لا يستطيع أن يفهم، أن أولئك لديهم قِيَم تختلف عن قِيَمِه. إنه يسخط على الذين يعبدون إلها لا يُرَى، ويحبونه أكثر من أي شخص آخر، ويبدأ في إقناعهم. وإن لم يُفلح، يعاقبهم، والعقاب وسيلة من وسائل الإقناع.

نجد "نبوخذ نصر" الملك غاضبا في هذا الأصحاح أكثر مما كان في الأصحاح السابق. كيف يتجاسر الثلاثة على رفضهم الاعتراف بأن "نبوخذ نصر" هو الأعلى؟! إن لم يعترفوا بسيادته بتلك الطريقة، فسوف يجعلهم يعترفون بطريقة أخرى، ألا وهي أتون النار المتَّقدة. فالأتون المتَّقد سيُظهر أين توجد القوة الحقيقية. وبمجرد أن ألقاهم الملك في الأتون، من هو ذلك الإله الذي كان باستطاعته أن يخلِّصهم؟!

عجيب أمر هذا الملك؛ إنه ذلك الرجل الذي أدرك مؤخَّرًا قوة وسيادة الرب في الأصحاح الثاني (عدد47)، في غضبه نَسِي الدروس التي سبق وتعلَّمها.

الإنسان عندما يترك نفسه للغضب يفقد عقله، ومن فقد العقل استخدم التهديد عوضا عن التعقل!!

في عدد16 يكشف لنا سبب وصف "شدرخ" و"ميشخ" و"عبد نغو" بالأجسام الثابتة. لقد أجابوا الملك: "يا "نبوخذ نصر" لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر". بمعنى: نعم، لقد صدرت الاتهامات، وهي صحيحة، وليس لدينا دفاع، ولم نسجد لتمثال الذهب،

وإن طرحتنا في أتون النار، فإلهنا الذي نعبده ينجِّينا، وإذا لم تكن مشيئته في نجاتنا، فليكن معلوما أننا لا نعبد آلهتك أيها الملك، ولا نسجد لتمثال الذهب الذي نصبته. سنستمر في رفضنا لفعل تلك الخطية التي تأمرنا بها (16-18) .

الإيمان يتكلم !

من السهل رفض السجود، إن كانت هناك ثقة في الخلاص. الرجال الثلاثة واثقون في الخلاص. كان إصرارهم ثابتا، حتى وإن لم يخلصوا، فإنهم لن يسجدوا أبدا للتمثال. هكذا يتكلم الإيمان الورع.

هناك مبدأ عظيم في الحياة المسيحية، من كلمات "C.H.Spurgeon" "مهمتك أن تعمل الصواب، والنتائج في يد الله".

مسئوليتي ومسئوليتك أن نعمل الصواب، ولو انطبقت علينا السموات. علينا أن نتبع تعاليم المسيح مهما كانت العواقب.

قد نتساءل: أيها السادة، ماذا بإمكاننا أن نعمل في العواقب؟!

دع السموات تسقط، وكن أنت مطيعا لسيدك، ومُخْلِصا للحق. كن عادلا ولا تخف، إن النتائج مع الله، وليست في يدك.

هذا المبدأ الكتابي قد تحقق في "شدرخ" و"ميشخ" و"عبدنغو"، وواجبنا نحن أن نعمل الصواب، لا أكثر ولا أقل. وإن كان عملنا يسبب إيذآءنا، فهذا شأن الله، والعواقب في يديه، لكن الواجب في أيدينا نحن. إن دَورنا في الحياة أن نعمل ما يسرّه، مهما كلَّفنا ذلك، ومهما كانت النتائج.

عاش "شدرخ" و"ميشخ" و"عبد نغو" بذلك المبدأ. لم يحدث قط من قبل أنهم أغضبوا ملك " بابل"، ولكن عندما يكون الخِيار بين أن يطيعوا أقوى رجل في العالم، وبين طاعة الله السرمدي، فهنا طريق واحد فقط يسلكوه.

أسوأ ما يمكن أن يصنعه بنا العالم هو أن يقتلنا. وما يريحنا أن لدينا إحساسا بأننا سوف نموت، إن آجلا أو عاجلا، وسوف نقابل الله، فمن الأفضل أن نموت شهداء "صغار السن"، ونقابل الله في سلام، من أن نُعمِّر في الدنيا ثم نقابله مَرعُوبين.

القبر ليس هو النهاية؛ فلماذا يكون التهديد بالموت، باعثًا على عدم طاعة الذي سوف نتقابل معه بعد الموت؟

ما أضعف هذا التهديد الذي يريد أن يحوِّلنا عن اتِّباع ربنا في هذا العالم!!

قلَّة من المؤمنين يمارسون ذلك المنطق المقدَّس، الذي تأمَّلنا فيه معاً، وهذا يفسِّر لنا، سبب استسلام عدد كثير أمام ضغوط ذلك العصر.

"شدرخ" و"ميشخ و"عبدنغو" قرروا ألا يستسلموا، مهما كانت العواقب، فالصواب صواب، والخطأ خطأ. وفي إصرار صمَّموا أن يعملوا الصواب، تاركين العواقب لله.

هذا هو نوع التفكير الذي يحفظ الشهادة لله حيَّة في هذا العالم، وإن تخلَّينا عنه؛ فسوف نفقد القدرة على الشهادة والتأثير فيمن حولنا.
لقد التقت القوة الجبارة بثلاثة أجسام ثابتة:

- أقوى قوة في العالم أصدرت أمرها: افعلوا هذا، فكان الرد (لا).
- " نبوخذ نصر" الملك، لن يتراجع عن الطريق الذي اختاره.
- "شدرخ" و"ميشخ" و"عبد نغو" لم يتزحزحوا عن موقفهم.

ماذا إذن تكون العاقبة؟
تخبرنا بذلك الأعداد 19-30.

ماذا حدث ؟

أمَر الملك جبابرة القوة في جيشه، فقيَّدوا الفتيان الثلاثة ثابتي الرأي، وألقوهم في النار. وفي النار حصلوا على النجاة. يلزمنا هنا أن نلاحظ أنهم حصلوا على النجاة، في النار، وليس من النار.

إن شدة غضب الملك غيَّرت منظر وجهه (19)، وفي ثورة غضبه أمر بأن يحْموا الأتون، سبعة أضعاف أكثر مما كان معتادا أن يُحمَى.

عندما ترفض البقيَّة التقيَّة المساومة؛ لا تجد حدا لغضب الأشرار. فأنتم يا من تقولون أنكم مستعدون أن تُلقَوا في أتون النار من أجل الرب، يجب أن تدركوا أن ذلك الأتون سوف يُحمَى سبعة أضعاف أكثر جدا مما تتخيَّلون.

توقَّع "نبوخذ نصر" مقاومة المنشقّين الثلاثة، فأمر جبابرة القوة في جيشه بأن يُوثِقوا الفتيان الثلاثة بقيود قوية (20)، وفي الأعداد 21، 23 نرى الفتيان الثلاثة يُحمَلون، مُقَيدين في ملابسهم الرسمية، إلى قمة الأتون.

كان الأتون كالقِدر الضخم، وفي جانب القاع، كان هناك باب يضيفون من خلاله الوقود. لكن القمة كانت مفتوحة، وكانت هي الموضع الذي حملوا إليه البقيّة التقيّة، ومنه ألقوهم في الأتون، فسقطوا في اللهيب إلى قاع الأتون. كانت النيران شديدة، لدرجة أنَّ لهيبها قتل الرجال الذين رفعوا الفتيان. وبعد أن أُلقِي الثلاثة فتية في الأتون، رآهم الذين نظروا، من الفتحة الجانبية، يسقطون مقيَّدين، لا حول لهم ولا قوة؛ فظنوا أن النار التي قتلت الجبابرة خارج الأتون، لابد وأن تقتل "شدرخ" و"ميشخ" و"عبد نغو".

ظن الجميع أن هذه هي نهاية رجال الله.

من الحماقة أن يُظن هكذا. إنها ليست أبدا نهاية أناس الله. لن يرى العالم أبدا نهاية للبقية التقية. قد يكون عددهم صغيرا، لكنهم لن يزولوا أبدا.

يشير "سفر الرؤيا" إلى أن هذا العالم، سوف يشهد نهاية الكنيسة المسيحية، كمؤسسة منظَّمة، وسيأتي الوقت الذي فيه يبحث الناس عن كنائس، ولن يجدوا!!

لكن ليس ذلك هو المعنى الحقيقي، بأن الكنيسة المسيحية ستنتهي. إن شعب الله سيكون هنا على الأرض، حتى لحظة مجيء ربنا.

انظر إلى "ألبانيا" اليوم، لا يمكنك أن تجد هناك أية علامة مرئية عن الكنيسة المسيحية، كما أنه ليس هناك علامة مرئية، أنها كان لها أي تأثير على تلك الأمة. لا يوجد في أية مكتبة فيها، كتاب واحد يحمل اسم الله – سوى للإزدراء – ولا يوجد علامة صليب واحدة على أي قبر، ومع ذلك، مازال هناك العديد من المؤمنين، الذين يحبّون المسيح. لم تستطع أية أنظمة أن تستأصلهم. لا أحد يمكن أن يقضي على بقيَّة شعب الله.

لقد توقَّع "نبوخذ نصر" وحاشيته، أن يسمعوا صرخات ضعيفة صادرة من الفتيان الثلاثة، وأن يروا جثثا تنصهر وسط اللهيب، وينتهي الأمر، فلا يبقى متمردون منشقون، ويصبح الجميع في " بابل" مطيعين لأوامر الملك، ويخرون ساجدين لتمثال الذهب.

لكن، مثله مثل كل الأشرار الذين قد دبَّروا المكائد ضد أناس الله، رأى "نبوخذ نصر" غير ما أراد أن يرَى. رأى ما أثار حَيْرته؛ وجعله يقفز من مقعده، ويصرخ مندهشا: "ألم نُلق ثلاثة رجال مُوثَقين في النار؟"

- نعم ثلاثة.
- كيف ألقيتموهم؟!
- ألقيناهم مُوثَقين.

- ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين، يتمشون في وسط النار، وما بهم ضرر، ولا أثر للقيود، ومنظر الرابع أسمَى من الطبيعة.

لا شك أن "نبوخذ نصر" وَصَف الرابع، حسب ما أُتيح له مِن تعبير، فقد دعاه "ابن الآلهة". وواضح بلاشك أن الشخص الرابع هو الذي تسمِّيه الترجمة الموثَّقة أنه "إبن الله" (25).

إن الكتاب المقدس واضح، في أن "ابن الله" قد ظهر على الأرض، في الهيئة البشرية عدة مرات، قبل أن يجيء بيننا في جسم بشري، وغالبا ما يوصَف في تلك الظهورات قبل التجسد، بأنه "ملاك الرب" أو "الملاك" (تكوين48: 16)؛ لذلك لا نندهش حينما نسمع "نبوخذ نصر" في العدد 28 يشير قائلا: "إن إلههم أرسل ملاكه."

لقد مشى الرب يسوع في أتون النار المتَّقدة مع "شدرخ" و"ميشخ" و"عبدنغو"

.

من زمن ليس ببعيد، سبق الله وأعطى وعدا لـ"إسرائيل" بفم "إشعياء": "وإذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك، وإذا مشَيت في النار فلا تُلذع واللهيب لا يحرقك" (اشعياء43 : 2) وها الوعد تحقَّق.

لو حدث أن قَبِلَ الرجال الثلاثة المساومة؛ لحُرِموا من ذلك الامتياز، وما كان لهم أن يتمشّوا مع المسيح في وسط النار، وكان يمكن أن تتحطم شركتهم مع الله، ويكونوا إلى الأبد مقيدين، ليس بالحبال والسلاسل، بل بالإحساس بالفشل والإحباط.

قبل ستة قرون من ميلاد المسيح في الجسد، نال الفتيان الثلاثة امتياز السَّيْر مع الأقنوم الثاني للثالوث، مع "ابن الله". برفضهم أن يخطئوا؛ أصبح لهم اختبار الشركة مع الرب يسوع، ذلك الاختبار الفريد في كل صفحات العهد القديم تقريبا.

من كان يصدِّق أن مثل ذلك يمكن أن يحدث على هذه الأرض؟ لو كانوا قد حاولوا أن ينقِذوا حياتهم؛ فبالتأكيد كانوا سيفقدونها، وكانت حياتهم ستصبح وُجوداً بلا معنى وبلا شركة. لكن باستعدادهم أن يفقدوا حياتهم وَجَدوها.

لا خسارة لمن يرفض الخطأ. الفتيان الثلاثة لم يختبروا النجاة من النار. لكن النجاة في النار، هو أسلوب الله.

الله يعطي تعزيات وفيرة لأولاده الذين يرفضون المساومة على الشر.

أي تأثير كان يمكن أن يتركه هؤلاء الثلاثة في الوثنيين، إذا ما هم انحنوا مثل كل الباقين؟! لا شيء!! لكننا رأينا الدهشة والذهول على الجميع، وهم يتابعون ما يحدث، خلال الفتحة التي في جانب الأتون. أصبح الوثنيون شهودا على تمَشِّي المنشقّين مع المسيح وسط النيران، كما أنهم شهود على أنهم لم يُصِبْهم أي أذى.

نحن لم نقرأ أن واحدا منهم آمن!! لكن يكفي أنه صار لديهم انطباع عن الله، لم ينسوه مدى حياتهم.

كان الحديث كله في نهاية ذلك اليوم العظيم عن إله "شدرخ" و"ميشخ" و"عبدنغو". لم تكن هناك كلمة واحدة عن التمثال البشع. كما كان الحديث أيضا عن خروج المؤمنين الثلاثة من النيران، دون أي أثر على شعر رؤوسهم وملابسهم، ولم تكن فيهم رائحة دخان.

يا له من إله عظيم!! إله، كل عبيده سالمون.

استولت الدهشة على "نبوخذ نصر"، إلا أنه بقي كَحالِه، دون أن تتجدَّد حياته، لكن أحداث ذلك اليوم لم تكن شيئا هيِّنا عليه. إنها المرة الثانية التي فيها يقوده الرب إلى معرفة صريحة عن الله.

أثناء كتابتي لهذه الصفحات، كنت أقرأ دراسة تَمَّت في "ليفربول" بانجلترا، وقت أن كان كثيرون – حتى من غير المؤمنين من أمّتنا– يدركون شيئا عن الله. لم يكن للرجال ولا للنساء عامة، الإيمان الخلاصي، غير أن الله كان مُعتَرَفاً به في حياة الأمة. عشرات الألوف، حتى من غير المؤمنين، يذهبون بانتظام إلى أماكن العبادة، يشكرون على الطعام، يقدِّسون يوم الرب، يرفضون أن يحلِفوا أو يكذبوا أو يسكروا، ويعترضون على الذين يحاولون تقويض الحياة الأسرية، أو يقامرون، أو يتعاملون بالغش أو الخداع. ولم يكن ذلك لأنهم أناس قد حصلوا على الخلاص، لكن لأن انطباعات قوية عن الله، قد حُفرت في ضمائرهم، وارتبطت تلك المباديء الأخلاقية ارتباطا وثيقا بإحساس تلك الأمة عن الله.

إن المملكة المتحدة اليوم لم تعد كذلك. إنها في الحقيقة تنحرف إلى الأسوأ أكثر من ذي قبل. لقد بدأ الانحطاط عندما بدأت الكنيسة تساوِم؛ فحاولت أن تكون عصرية، تساير العالم؛ فضعف تأثيرها الروحي على الناس.

عندما بدأت الكنيسة تخفِّف مِن رسالتها، فلا تُقَدم كلاما لا يريح الناس محذِّرة من جهنم، وتوقفت عن ذِكر المُعجزات؛ فقدت قوَّتها وسُلطانها.
إن اللحظة التي يقول فيها أناس الله (لا) لكل ما لا يُرضي الله - حتى وإن كان غير مريح للسامعين -عندئذ سيكون لهم تأثير روحي على الأشرار.

أُنظر إلى ما أدركه "نبوخذ نصر" في عدد 28: لقد أدرك من هو الله. أدرك أن للرب خُداما، وأن الله أرسل ملاكه، وأن الرب أقوى منه شخصيا، رغم أنه أقوَى رجل في العالم. لقد أدرك أن الله أعظم من أي إله آخر، وأنه جدير بأن يُعْبَد.

كل هذا أدركه "نبوخذ نصر"، إلا أنه لم يُدرك أهم شيء: لم يدرك الإدراك الكامل، أن الله هو الإله الوحيد، ولم يؤمن كذلك بالمسيح.

لم يصل إلى هذا الإيمان، غير أن حقائق معيَّنة أضاءت بثبات في قلب هذا الرجل. كان رد فعل "نبوخذ نصر"، أنه أصدر مرسوما ملكيا (29). ليس لنا أن نرفض أو نقبل ما أمر به، ويجب أن نتذكر أنه لم يزل غير مؤمن. لم يَنْحنِ تائبا عند قدمي الرب، ويعترف به إلها له شخصيا.

إنه مثل هؤلاء الرجال الذين يحاولون، على مر العصور، إجبار الآخرين على بعض أنواع الإيمان بالقوة.

إن الناس لا يأتون إلى الإيمان بهذا الأسلوب. الإنسان المؤمن فقط لديه من الفطنة الروحية ما يجعله يدرك ذلك.

"نبوخذ نصر" لم يصل إلى هذا المستوى بعد. كل ما فعله أنه أصدر قرارا يصرِّح فيه، بأن كل من يتكلم بالسوء على إله "شدرخ" و"ميشخ" و"عبد نغو" يُقتل قتلا، ويصبح بيته خرابا.

إننا نختلف مع "نبوخذ نصر" بخصوص قراره هذا، ولكننا نأخذ من هذا القرار عبرة. فالحدث كان له تأثير عظيم في النفوس عن الله، وأن الأتقياء حفظتهم نعمة الرب الفائقة، وشهادة حية عن الله استمرَّت في تلك الإمبراطورية الوثنية.

إن استمرار شهادة حقيقية لله في هذا العالم، تعتمد على كلمة واحدة. وبنفس الطريقة، إن كل قوة شعب الله، لعمل شهادة مؤثرة في الذين حولهم، يمكن أن تبيد بكلمة واحدة.

إن الكلمة المدمرة هي (نعم)، عندما يشير علينا الأشرار بالخطية، ويوافق الذين يعبدون الله أن يفعلوها. إنهم بهذا يصبحون كأي شخص آخر؛ وبهذه الطريقة يفقدون كل قوَّتهم وسلطانهم، لفعل أي عمل صالح، أو أن يحافظوا على الحق.

أما عند مواجهة إغراءات الخطية بثبات، بكلمة (لا)، فالموقف يختلف تماما. كبداية، فإن أتون النار أكيد، فإما أن تكون خارج الأتون مع "نبوخذ نصر"، أو أن تكون داخل الأتون مع المسيح. ليس هناك طريق وسط. إن مكان الحرارة غير العادية، هو أيضا مكان الشركة غير العادية مع المُخلِّص.

إن الذين يمشون هناك (وسط الأتون) يستمتعون بالثقة بأنهم يولِّدون انطباعات ثابتة عن الله في ضمائر أناس غير مؤمنين.

ليس هناك أبدا أتون نار، يمكن أن يخترعه إنسان، يستطيع به أن يبيد شعب الله. ذلك الأتون المتقد يتحوَّل؛ فيصبح وسيلة يستخدمها الرب لكي يحفظ بقيَّته الأمينة، ويحفظ حقه حيًّا في العالم.